

المحاضرة الخامسة. الكلمة عند البلاغيين

توطئة.

تعددت زوايا نظر البلاغيين للكلمات، فهل قدّم البلاغيون مجهودات في هذا السبيل؟ نستأنس في بناء عناصر الدرس بما وُجد من قضايا تخدم المفردة في مؤلفات البلاغيين. وقبل الاطلاع على تلك الجهود نشير لقضية العلاقات التي ينظر فيها البلاغيون، فيما اختص منها بالمفردات فهي إمّا:

- **علاقات طبيعية:** كتآلف الألفاظ من حيث البناء والتأليف أو عدم تألفها، ومحاكاة الألفاظ للمعاني، والمحسنات البديعية اللفظية من سجع وجناس وتطابق وتورية ومدى إمعان المستعمل في استخدامها بدقة..

- **علاقات عرفية:** تتجلى في الإسناد ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتظهر في مواضيع الحقيقة من خلال الإسناد المباشر والمجاز بالإسناد غير المباشر وكذا قضايا الفصاحة والبلاغة.

- **علاقات ذهنية:** تبحث في المعاني الكامنة وراء الألفاظ، وتظهر من خلال التلوين البياني كالتشبيه والاستعارة والكناية.

نظر البلاغيون في الألفاظ من جهة:

- **مراعاة التناسب بين اللفظ والمعنى.**

المعنى والأداء الصحيح، وهو أهم ضلع في فصاحة العربي، ففي حكاية " أبي سعيد عبد الكريم بن رّوح " كما يورد الجاحظ أنّ أهل مكّة يُواجهون الشاعر البصري محمد بن المنّان قائلين:

" أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم،

1 — أنتم تُسمون القدر بُرمة وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول قدر ونجمعها على قُدور، وقال الله عزّ وجلّ : (وَجِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ عَلَى رَأْسِهَا)^{سبأ 13} ،

2— وأنتم تُسمّون البيت إذا كان فوق البيت غُليّةً وتجمعون هذا على علالي، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف، وقال الله تبارك وتعالى: (عُرِفَ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبْنِيَّةٌ)^{الزمر 20} وقال (وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ)^{سبأ 37}

3 — وأنتم تُسمّون الطلع الكافور والإغريض، ونحن نسميه : الطلع ، وقال الله تبارك وتعالى : (وَزُرُوعٌ وَنَخْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ)^{الشعراء 148} ، فعَدَّ عشر كلمات " وهي كلمات ذكرها القرآن الكريم أوّل شواهد الفصاحة .

الألفاظ التي استعملها الناس على غير ما وردت عليه في القرآن الكريم، قاصدا من خلال ذلك العناية بدقّة الاستعمال، وإظهار الفروق بين معاني وسياقات بعض الألفاظ كما وردت في القرآن الكريم وبين التشويه الذي طال الألفاظ في لغة العامّة، " ألا ترى أن الله

تعالى لم يذكر في القرآن **الجوع** إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكر **السغب** و يذكر **الجوع** حتى في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر **المطر**؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام (وساء مطر المنذرين)، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر **الغيث**.
(إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) البلد 14، (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) البقرة، 155 (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِّنْ جُوعٍ) الغاشية، 7.
(الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش، 4.

قضية اللفظ والمعنى

– أهمية اللفظ المستحسن في إحكام المعنى.

اهتم عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بالمفردة وميّز الكلمة الفعّالة عن غيرها بقيمة تكمن فيها قبل نظمها، لأن "فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة لو ذكرت على الانفراد، وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه." فهو وإن كان من أنصار النظم لم يتردد في الانتصار لفضيلة الحسن في الألفاظ.